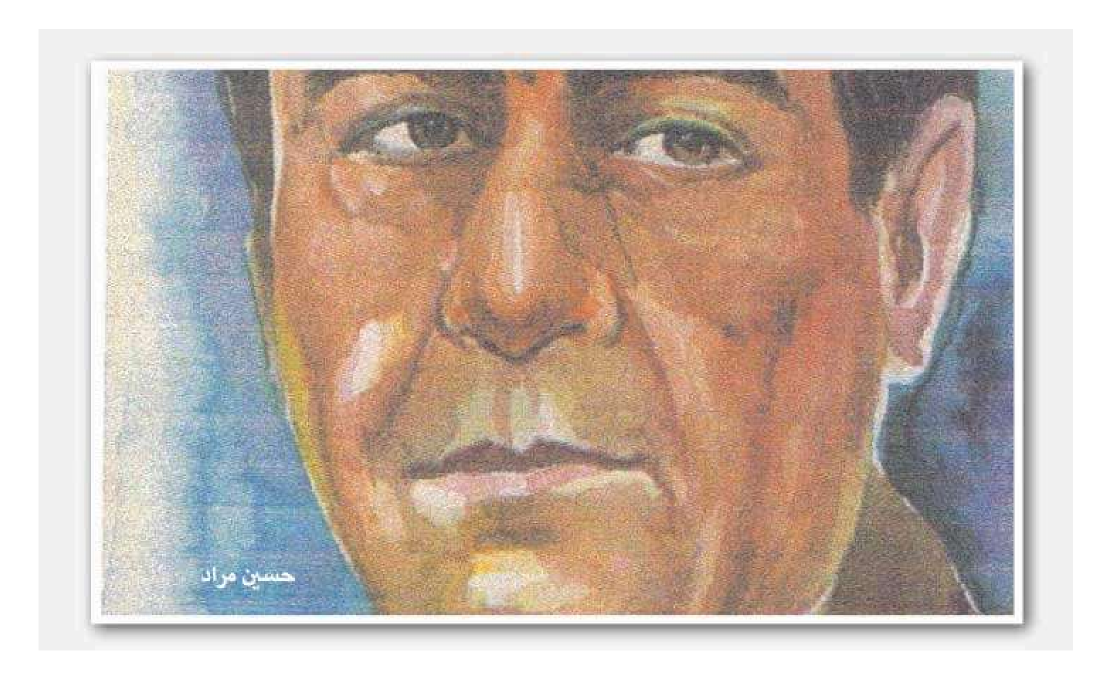
حسين مردان... بودلير العراق

20 - نوفمبر - 2019



هذا الشاعر البوهيميّ المشاكس المشرّد التائه في شوارع بغداد وأزقتها والمرتاد مقاهيها الثقافية، بدءا من مجيئه إليها عام 1946 بشعره الإيروتيكي الفضائحيّ الصادم والتحريضيّ، خرج عن المألوف وأشعل حرائق في جسد القصيدة العربية، وجدلا في المشهد الشعريّ العربيّ الحديث، فقد حمل شعره «الصارخ في البرية» رغم انحرافه وشهوانيته وإباحيته المفرطة، نقمة على الواقع ورسم قبح الحياة الساقطة وأزاح اللثام عن وجه مجتمع زائف من منظور شاعر محبط ويائس، لكنه مغرور بنفسه.

حسين مردان (1927-1972) طائر يغنّي في غير سربه، وصوت جريء فضائحيّ وغرائبيّ في الشعر العربيّ الحديث في تحريضه على الانحلال والفساد بالمثل، أي بكتابة قصائد جنسية فاضحة وقاسية في إباحيتها، وقد اعتمد هذا الأسلوب من قناعة وهمية سوداوية، بأنّ شعر الحضيض يوصله إلى القمة. عاش حياة غريبة ممسوحة بالبؤس والحرمان، فقد طردته والدته وشقيقته من البيت، كما يعترف في مقالته المعنونة (حسين مردان) «لكي يصبح رجلا قويا في المستقبل. ومنذ ذلك اليوم بدأ

ينمو بأعماقي ذلك (المسخ البشع) الذي تمخّض أخيرا عن (حسين مردان) (الشاعر الملعون)». نزف يراعه شعرا غريبا فقد لبس قناع شارل بودلير (1821-1867) وفق مفهومه الخاصّ لديوان «أزهار الشر» الصادر عام 1857 وتفاطع معه في شعر البغيّ والغرابة، خاصة في ديوانه «قصائد عارية « 1949، وكرّاسه الحامل قصيدة «اللحن الأسود» 1950، اللذين أوصلاه إلى ردهات المحاكم لإسرافه في الإباحية والفانتازم أي التخيّل الشهوانيّ، لكن في شهر يوليو/ تموز 1950 أصدرت المحكمة قرارها بالإفراج عن الشاعر وديوانه.

شعر حسين مردان الإيروتيكيّ مرايا عاكسة لحياته القاتمة، واحتجاج ورفض لواقع مرّ وهو هروب من قسوة الحياة، هذا ما يتراءى في قصيدة «براكين» التي يصف فيها نفسه بخط أسود في جبين الدهور:

ما حياتي وفجر عمري ولّى
وكوت صفرة الذبول زهوري
يا ليالي لم أعد أتشهى
كلّ ثغر مضمّخ بالعطور
كرهت نفسي الوجود وملّت
عشرة الأرض في ظلال الفجور
النرجسية وتقديس الذات

في عتبة ديوانه «قصائد عارية» يبرز غروره ونرجسيته. فهو يهدي ديوانه إلى نفسه بهذا التوصيف النرجسيّ « لم أحبّ شيئا مثلما أحببت نفسي، فإلى المارد الجبّار الملتف بثياب الضباب إلى الشاعر الثائر والمفكّر الحرّ إلى، حسين مردان أرفع هذه الصرخات التي انبعثت من عروقه في لحظات هانئة، من حياته الرهيبة» ـ ح . مردان بغداد 26-11-1949. هذه النرجسية كافية لشحن الشعر بالاستفزاز والصدام مع المتلقّي، وهو يعرف أنّ القارئ سيكره شعره، لكنّه سيقرأه، ففي عتبة الديوان يخاطب القارئ مستفزا وشاتما «وإنّي لأضحك ببلاهة أعجب كلما تصورتك وقد

استبد بك الغضب، فرميت بكتابي بحنق واشمئزاز، وعلى شفتيك المرتجفتين ألف لعنة ولعنة. ولكن ثق أنّك لا تفضلني على الرغم من قذارتي، إلا بشيء واحد وهو إنّي أحيا عاريا بينما تحيا ساترا ذلك بألف قناع». ويطلب من القارئ العزوف عن قراءة الديوان إن كان يخشى ذلك، ويورد تحت عنوان قصيدته «للطين» مقولة ذكورية استعلائية ودونية تجاه المرأة عامة: «لن أحبّ إلا المرأة التي تحتقر جميع الرجال وتسجد تحت قدمي». وفي هذه القصيدة يرفض ويزيل «الشرف الرفيع» و«التقى» عن المرأة ويحثّها على الفجور «ما الطهر ما الشرف الرفيع، وما التقى غير اختلاقات الزمان الأقدم فاستهتري يا بنت آدم كلنا في الأصل للطين المدنّس ننتمي، وتهتكي وهبي لكل متيم، ما يشتهي من جسمك المتضرّم»، وكأنّه يتقمّص صوت ولادة بنت المستكفي (994-1091) في قولها «أمكّن عاشقي من صحن خدّي وأعطي قبلتي من يشتهيها». والمرأة عنده جسد شهوانيّ لا يلتقيها إلا في الحانات هذه العقدة وسمت جميع أشعاره.

> شعره لا يحتفي بالمرأة الفكر والروح، بل الجسد والشهوة على غرار صاحب «أفاعي الفردوس» إلياس أبي شبكة.

حسين مردان في بورتريه جبرا إبراهيم جبرا

في «صيّادون في شارع ضيّق» 1960 لجبرا إبراهيم جبرا، التي تندرج ضمن جانب الرواية السيرذاتية، التي تحكي بتماه مع بطلها جميل فرّان مجيء جبرا إلى بغداد عام 1948 للتدريس في إحدى كلياتها، ترتسم صورة حسين مردان وراء اسم «حسين عبد الأمير» الصحافيّ العامل في جريدة «تلغراف الصباح» الذي تعرّف إليه السارد جميل فران في يومه الأوّل وهو يسير في أزقة بغداد، وفي شارع الرشيد. فقد قال حسين لجميل فران أنّه أتى بقصيدة ليريها لسميحة، التي تعمل بغيا، وكانت مشغولة وحين يسأله جميل إن كان يعشق بغيا؟ أجابه «لا أبدا. هذا أمر شائع في تاريخ

الأدب وأنا دائما أذكر بودلير الذي كتب القصائد عن تلك الزنجية الفظيعة». ويصوّر حسين مردان المنعوت بالغريب والبوهيميّ من قبل جميل فرّان، بأنّه أشعث، ومهلهل الثياب. ولهجته بغدادية غريبة تجمع بين خشونة الصحراء وشهوانية الحضارات القديمة. ومن حيث مذهبه في الشعر، يعرّف نفسه بأنّه شاعر سيريالي. ويشير جبرا في مقدمة كتابه «أدونيس أو تموز» الذي هو ترجمة للجزء الأوّل من مجلد «الغصن الذهبي» The Golden Bough لجيمس فريزر، والذي ترجمه جبرا وهو في القدس في أواسط أربعينيات القرن العشرين، والذي صدر في بيروت عام 1957 بأنّ حسين مردان بيّض مسوّدته.

المرأة لا تستحق من الشاعر أكثر من قصيدة واحدة

صاحب هذه المقولة الدونية للمرأة هو حسين مردان في مقالة نثرية له بعنوان «شخصية المرأة» كتب فيها مبررا مقولته «لأنّ شاعر العصر، لا يمكنه أن يضحّي بعشرة أعوام من عمره القصير، في التغنّي بامرأة واحدة، خاصة إنّ الحب نفسه فقد معناه القديم، ومن الأفضل لنا أن نحذف كلمة الحب من لغات العالم، ونضع عوضا عنها كلمة – اشتهاء- فهذه الكلمة أقرب إلى المفهوم العصريّ للحب». ومردان شاعر الاشتهاء انشغل شعره في وصف أجساد نساء الحانات والمواخير، وموقفه من المرأة رفضي وقمعي، فهو مصاب بالميسوجينية، أي كره النساء وازدرائهن، ونعتهن باللهاث وراء الشهوات، كما يتغنّى بالعنف الجسديّ تجاههن وشعره مترع بالسادية المازوخية، كما في قصيدة «بنات الليل». وهو غرائبي في كرهه للمرأة الجميلة وعشقه للمرأة القبيحة على حدّ توصيفه في قصيدة «عبادة القبح». عالمه غرائبيّ ينمّ عن نفس متوجعة مكلومة. وشعره تقويضيّ وصاخب وخال من رفيف الكلمة الشاعرية ذات الموسيقى الهامسة الشفيفة، وهو صدى لعالمه الفجائعيّ وغضبه وجلد لذاته المهزومة ولاغترابه.

شيفرته الشعرية

شيفرة حسين مردان الشعرية مركّبة من عالم اللذة الغارق في رسم تضاريس أجساد نساء الحانات والمباغي والشهوانية، كما أنّ صورته في أشعاره غرائبية تتقاطع مع «لوليتا» ناباكوف في حب وممارسة الجنس مع طفلة، كما في قصيدة «بنات الليل». هذه الصورة القبيحة والسادية تجاه المرأة تتجلى في ديوانه «قصائد عارية» يقول في قصيدة «زرع الموت»، التي يسفح فيها شعره الإيروتيكي الجارح في تغنّيه بعشيقته السمراء التي يتماهى فيها مع شعر بودلير، الذي أحبّ فتاة زنجية وكتب شعرا فيها نكاية بعائلته البورجوازية:

إبليس والكأس والماخور أصحابي نذرت للشبق المحموم أعصابي

من كلّ ريانة الثديين ضامرة تجيد فهم الهوى بالضفر والناب

شعره لا يحتفي بالمرأة الفكر والروح، بل الجسد والشهوة على غرار صاحب «أفاعي الفردوس» إلياس أبي شبكة. وشعره شهوانيّ مترع بثاني أكسيد الكربون وشبه خال من الأكسجين، ومليء بالسقطات الفكرية ولا يليق بعالم الشعر المسكون بربات الخيال والفنّ والجمال. ولعلّ ذلك عائد لحياته الشريدة البوهيمية كما يبوح في قصيدة «ثدي أمي»:

قد رضعت الفجور من ثدي أمي وترعرعت في ظلام الرذيلة

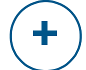
فتعلمت كلّ شيء ولكن لم أزل جاهلا معاني الفضيلة

حسين مردان شاعر عبثي صاخب شحن الحركة الأدبية بالحراك وتصادم مع القضاء والرقابة وانتصر، لكنّه طبع شعره بمعادلة تاء التأنيث ونون النسوة بشكل تعسفيّ.

* كاتب فلسطيني

كلمات مفتاحية

سمير حاج






اترك تعليقاً

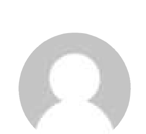
لن يتم نشر عنوان بريدك الإلكتروني. الحقول الإلزامية مشار إليها بـ *

التعليق *

الاسم *

البريد الإلكتروني *

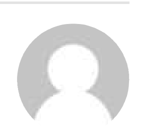
إرسال التعليق



رشا وتد نوفمبر 21, 2019 الساعة 8:04 ص

ريشتك تخرج من ينبوع مدواتك ، ابداعا وسحرا كأنها الشمس بوضوحها وسهولة رسمها لرسام مبدع ، ولكنها تحمل بطياتها غازات متفجرة تفجر العقل والفكر ، أسلوب د. سمير الحاج السهل الممتنع ، التي يعجز آي يراع عن كتابته بهذه الحرفية .اما بالنسبة للشاعر حسين مردان فقد كان صريحا جدا بكتابته لدرجة الفجور ، ولكن هل تختلف رؤيته وتصوره للمرأة عن رجال اليوم ؟؟! للاسف كان الشاعر خاليا من النفاق ولكن اليوم تجملت وغلفت الرؤية بكلمة تسمى الحرية المزيفة .(ر.و)

رد



نزيه حسون نوفمبر 21, 2019 الساعة 4:32 م

الدكتور سمير الحاج مقال رائع في شاعر مميز ورائع ورغم أننا نختلف معه في بعض القضايا إلا أنه شاعر يستحق القراءة والدراسة...دائما تكشف لنا خبايا أدبية مميزة خاصة.. تكتبها بأسلوب أدبي سلس وجميل...دمت مبدعا يا سيدي

رد



صالح عباسي نوفمبر 23, 2019 الساعة 7:39 ص

سلمت يمينك د.سمير الحاج!

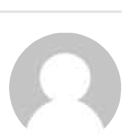
رد



إيمان البستاني نوفمبر 23, 2019 الساعة 6:17 م

موفق دائماً حين يأخذك القلم لمملكة الشجن العراقي , مقالة كتبت بحب ودراية تحليلية نفسية راقية عن الشاعر حسين مردان الذي جاء من بعقوبة الى بغداد مشيا على الأقدام واصبح جزءا من الرصيف واثار اهتمام الشارع البغدادي بصعلكته وايروتيكية قصائده , عاش التسكع بضياعه ومنعت كتابته وسجن اكثر من مرة لكن بقت الأنا الشعرية المتضخمة عنده لحد الديكاتورية اكثر مايميزه حتى انه لم يكن يأبه لمارد الشعر الجواهري ,خلده الروائي العظيم (غائب طعمة فرمان) في روايته خمسة اصوات بشخصية (شريف), كان يثير حوله القصص التي يختلقها عن علاقاته النسائية المتنوعة احدها قصة علاقته بالمطربة العراقية المعروفة (عفيفة اسكندر) وكان يحكي لأصدقائه كيف كان يستحم بحمامها الذي تعد له العطور وتحضر له كاس عصير البرتقال بيدها وهو مستلقي على سريرها , كانت تضحك عفيفة عندما تسمع هلوساته لانه لم يكن يملك ثمن سيكارة,هو الذي بقى قلبه معلق بخيط العشق لفتاته الساكنة في بعقوبة والتي كانت رؤيتها اخرامنية له على فراش الموت لكنها لم تحققها له ,رحل كما عاش بلا زوجة او حبيبة استبدل وجود المرأة في حياته بتجربة الحياة السفلية القابعة في درابين منطقة الميدان

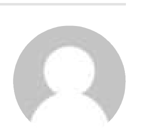
رد



د.عباس محمد رحيم مارس 25, 2020 الساعة 10:54 م

فعلا شاعر بوهيمي ولقب بودلير ينطبق عليه في ازهار الشر وانا احترم هكذا شعراء يكتبون بالرمزية المفرطة لواقع الحال وشجاعة ادبية وشاعرية ماجنة وانا ككاتب شعر افهم ما وراءيات قصائده..انه كان مبدعا وعملاقا

رد



حنّا نور الحاجّ - عبلّين أبريل 17, 2020 الساعة 2:37 م

استمتعتُ وأفدتُ.

شكرًا للكاتب.

رد

حولنا / About us
أعلن معنا / Advertise with us
أرشيف النسخة المطبوعة

أرشيف PDF

النسخة المطبوعة
سياسة
صحافة
مقالات
تحقيقات
ثقافة
منوعات
لايف ستايل
اقتصاد
رياضة
وسائط
الأسبوعي


adberries